

## الدرس الأول

أهمية علم الصرف مع ذكر بعض الأمثلة للشيخ عاقل عبد الرزاق حاجي علي الزبييري الإسحافي.

الحمد لله رب العالمين وصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

سوف نبدأ بأذن الله تعالى دروساً ميسرةً في علم من علوم العربية ألا وهو علم الصرف أو التصريف.

وإن هذا العلم أيها الإخوة من أجل العلوم قدراً وأكثرها لطالب العلم نفعاً وهو من الأهمية بمكان. فطالب العلم ينبغي أن تكون له عناية بهذا العلم لكي يعينه على فهم الكتاب والسنة. فكم من النصوص الشرعية قد فهمت فهماً سقيماً بسبب الجهل بتصريف الأفعال أو الأسماء ومعاني الصيغ المختلفة.

قبل أن نبدأ دروسنا ببعض التعاريف والحدود المهمة لنأخذ بعض الأمثلة على مدى أهمية هذا العلم في فهم الكتاب والسنة:

### 1- في قوله تعالى { **ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ** }

الذي يجيد اللغة العربية دون أن يعرف التصريف سيؤمن أن معنى مغتسل شيء يتعلق بكلمة غسل أو غسيل أو الاغتسال ولكن الذي يجيد علم الصرف سيعلم أن كلمة مغتسل على وزن مفتعل فهي إذاً اسم مكان للاغتسال من الفعل اغتسل، فلاحظوا أيها الإخوة أن علم الصرف يعينك على فهم المعنى الصحيح المراد من الكلمة دون أن تُفسر لك.

2- قوله تعالى: { **يقول الإنسان يومئذ أين المفر** } بفتح الميم و الفاء على القراءة المشهورة، عند قراءة الآية أيها الإخوة يتبادر إلى الذهن أن كلمة مفر لها تعلق بالفرار، هذا صحيح، ولكن ابن عباس قرأها ( **المفِر** ) بفتح الميم و كسر الفاء، و قرأها ابن شهاب الزهري ( **المقِر** ) بكسر الميم ، فالذي لا يعرف علم الصرف لن يتمكن من التفريق بين هذه الصيغ ومعانيها .

فالمقِر على القراءة المشهورة بفتح الميم و الفاء صيغة مصدر، و عليه يكون المعنى ( أين الفرار ؟ )

و المقِر على قراءة ابن عباس بفتح الميم و كسر الفاء اسم مكان، و عليه يكون المعنى ( أين محل الفرار ؟ )

و المقِر على قراءة بكسر الميم و فتح الفاء صيغة مبالغة و عليه يكون المعنى ( أين الذي يجيد الفرار ؟ )

مثال آخر: **قَدَمٌ و قَدَمٌ و قَدَمٌ**

بضم الدال و فتحه و كسره

كلٌّ من هذه الأفعال الثلاثة لها صيغ مختلفة عند المضارع، ولها معانٍ مختلفة أيضاً:

قَدِمَ يَقْدِمُ، قُدُومًا ، فهو قَادِمٌ،

قَدِمَ الْبِلَادَ : أَتَاهَا ، جَاءَ إِلَيْهَا ،

قَدِمَ إِلَى الْأَمْرِ : قَصَدَ لَهُ وَعَمَدَ إِلَيْهِ

ومنه قوله تعالى ( **وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا** ) : أي وعمدنا

قَدَمٌ يَقْدُمُ قَدَمًا وَقَدُومًا، قَدَمَ الْقَوْمِ : تَقَدَّمَهُمْ ، سَبِقَهُمْ فَصَارَ قَدَامَهُمْ ، أَي أَمَامَهُمْ

و منه قوله تعالى ( **يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ۗ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ** ) : تَقَدَّمَهُمْ ، قَدَمًا وَقَدُومًا

قَدَمٌ يَقْدُمُ : قَدَمًا وَقَدَامَةً ، فَهُوَ قَدِيمٌ الْجَمْعُ : قَدَمَاءُ ، وَقَدَامَى وَهِيَ قَدِيمَةٌ .

فانظر وفقك الله كيف تختلف صيغ الماضي والمضارع باختلاف حركة واحدة وكيف أن المعاني تختلف أيضا،

فالذي يجيد علم الصرف يعلم أن الماضي من يقدّم بضم الدال ( **يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ۗ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ** ) لا يكون الماضي إلا قَدَمَ بفتح الدال، يستحيل أن يأتي ماضيه بكسر الدال أي "يقدّم" لماذا؟ لأن المضارع من فعل بكسر العين ( قديم ) لا يكون إلا على وزن "يفعل" بفتح العين أو "يفعل" بكسر العين. إذاً يستحيل أن يأتي ماضي يقدّم "قديم" بكسر الدال لأنها مخالفة للقاعدة الصرفية التي تقول أن مضارع فعل ( قديم ) لا يكون إلا على وزن يفعل بفتح العين أو يفعل بكسر العين، و يقدّم مضمومة.

**و لا يمكن أن يكون الماضي من يقدّم التي في الآية قَدَم بضم الدال أيضا**، لا نقول أنه يستحيل ذلك و لكن نقول أنه لا يمكن ذلك لماذا؟ لا يمكن لأنه لو قلنا أن ماضي يقدّم يكون "قَدَم" بضم الدال لاحتل المعنى إذ أن "قَدَم" بمعنى أصبح قديما، فنكون معنى الآية فرعون أصبح قديما قومه ! و لا يستحيل أن يكون ماضي يقدّم - ليس عن الآية و إنما بشكل عام- قَدَم لأن الفعل الذي يكون على وزن فَعَلَ بضم العين لا يأتي مضارعه إلا على يفعل بضم العين. فتقول قَدَم الثوب، و يقدّم الثوب.

إذاً يتبين لنا أن ماضي يقدّم في قوله تعالى ( **يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ۗ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ** ) لا يكون "قديم" بكسر الدال و لا "قَدَم" بضم الدال، يستحيل أن يكون قديم بكسر الدال لأن القاعدة الصرفية تقول أن ما كان على وزن ( فعل ) "قديم" لا يمكن أن يكون مضارعه إلا يفعل ( يقدّم ) أو يفعل ( يقدّم ) و الآية تقول يقدّم بضم الدال. إذاً رددنا أن يكون ماضي يقدّم قديم لسبب لفظي لمخالفة القاعدة. و لا يكون ماضيه "قَدَم" بضم الدال لأن "قَدَم" بمعنى صار

قديما، إذا رددنا أن يكون ماضي يقدّم "قَدَم" بضم الدال لسبب معنوي. فما بقي إلى "قَدَم" بفتح الدال، فلا يكون الماضي إلى قَدَم لسببين: السبب الأول هو اللفظي، إذ أن قَدَم يصح أن يكون مضارعه على يقدّم لأن القاعدة تقول بأن مضارع فعل بفتح العين يأتي إما على يفعل بضم العين أو يفعل بكسر العين أو بفتح العين يفعل، والسبب الثاني هو المعنوي وهو أن معنى قَدَم في اللغة تقدّم و صار أمامهم، وهو المعنى المراد من الآية بأن فرعون لعنه الله سيقدم قومه يوم القيامة ويقودهم، فيمضي بهم إلى النار.

فالمتمكن من هذا العلم سيفهم الواحيين دون أن يحتاج من يفسر أو يشرح له كثيرا من الألفاظ، ولذلك كان الصحابة والتابعين يفهمون معاني القرآن والخطاب الموجه إليهم، فما احتاجوا إلى من يفسر لهم أكثر القرآن.

بهذه الأمثلة نتجلى لكم أيها الإخوة الكرام عظم قدر هذا العلم وأهميته لطالب العلم، فهو الذي عليه الاعتماد في ضبط الصيغ وبه تدفع اللحن في نطق الكلمات. فمن أهم فوائده أنه يعينك على معرفة الصيغ المختلفة للكلمة من مضارع وماض وأمر واسم فاعل وصفة مشبهة واسم مفعول ومصدر وصيغة مبالغة واسم تفضيل واسمي الزمان والمكان، فالدارس لهذا العلم بمجرد أن يقرأ صيغة واحدة للكلمة فإنه بإمكانه أن يعرف جميع الصيغ الأخرى مباشرة.

وإذا كان علم النحو مهما وهو يتعلق في الغالب بأواخر الكلم، فعلم الصرف ينبغي أن يكون أهم؛ لأنه يتعلق بباقي الكلمة وهو أكثر من آخرها!

وكم من النصوص الشرعية قد فهمت فهما سقيما بسبب الجهل بتصاريح الأفعال أو الأسماء ومعاني الصيغ المختلفة!

وإليكم هذا المجلس والحوار الذي جري بين عمرو بن عبيد المعتزلي وبين الإمام القارئ النحوي صاحب القراءة المشهورة أبي عمرو بن العلاء البصري والذي يبين لك أهمية علم الصرف:

((جاء عمرو بن عبيد إلى أبي عمرو بن العلاء فقال: يا أبا عمرو، أيخلف الله وعده؟ قال: لا.

قال: أفرأيت من وعده الله على عمل عقابا أيخلف الله وعده فيه؟ فقال أبو عمرو: من العجمة أتيت أبا عثمان، إن الوعد غير الوعيد، إن العرب لا تعد عارا ولا خلفا، والله جل وعز إذا وعد وفي، وإذا أوعد ثم لم يفعل كان ذلك كرما وتفضلا، وإنما الخلف أن تعد خيرا ثم لا تفعله.))

لاحظوا أيها الإخوة كيف أن جهله بالصيغ المختلفة للكلمة أداه لفهمه الخاطي، و سبحان الذي وقّف الإمام أبي عمرو بن العلاء البصري إلى هذه الكلمة: ( من العجمة أتيت )!، حيث خلط عمرو بن عبيد بين صيغة المصدر "وَعَدَ" و صيغة المصدر "وَعِيدَ" فلم يفرق بينهما لافظا و لا معنا، فجعل كلاهما من فعل واحد و هو "وَعَدَ"!! فحصل له إشكال بسبب ذلك و قال - على فهمه - أن الله إذا وعد وعدا بالعقاب على كبيرة فمن وقع بتلك الكبيرة ولا يتوب منها فلا بد أن يفى بوعده و يعاقبه إذ أن الله لا يخلف وعده!! و أراد أن يحاجج الإمام بطريقة السؤال، فرد عليه للإمام و بيّن له أنّه ما توصل إلي ذلك الفهم إلا بسبب عجمته و جهله بصيغ و تصاريح الأسماء و الأفعال و معانيها. ثم شرح له أن الوعد غير الوعيد و أن صيغة المصدر التي هي "الوعد" يأتي فعلها على وَعَدَ، و صيغة المصدر التي هي "وعيد" يأتي فعلها على أُوْعِدَ بمعنى تهدده. فالوعد له صيغة فعل مختلفة عن الوعيد، و له معنا يختلف عنه أيضا. والله سبحانه و تعالى إذا وعد بخير - أوفى بالوعد و إذا أوعد بالعقاب ثم لم يفعل كان ذلك تكرما و تفضلا منه. فجعل الوعد بمعنى الوعيد مصيبة! لأنه سيكون المعنى عندئذ أن الله إذا وعد بخير وفي و إذا أوعد بالعقاب فلا بد أن يفى!

ثم استمر المجلس بينهم.

((قال: فأوجدني هذا في كلام العرب.

قال: نعم، أما سمعت قول الأول: ولا يرهب ابن العم ما عشت صولتي ولا أختتي من صولة المتهدد وإني وإن أوعده أو وعدته لمخلف إيعادي ومنجز موعدتي وتكلم في هذه الآية: وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ سورة الأعراف آية 44، فقيل: كيف خرج القول من الفريقين بلفظ واحد، وهو وعد ووعيد؟ فقال: لأن العرب تقول: وعدته خيرا ووعدته شرا، فإذا أسقطوا ذكر الخير والشر قيل في الخير: وعدت، وفي الشر: أوعدت.))

و خلاصته أن المصدر "وعد" الذي يكون فعله وَعَدَ لا يكون إلا في الخير عند التجريد من الإضافة و المصدر "وعيد" الذي يكون فعله "أوعد" لا يكون إلا في الشر عند التجريد من الإضافة.

لنأخذ مثلا أخيرا طريفا عن مدى عظمة اللغة العربية وأهمية علم التصريف:

يمكننا أن ننشئ جملة كاملة في اللغة العربية من كلمة واحدة بصيغها المختلفة:

ضرب الضارب الضَّرْبَ المضروب بالمضرب ضربتين.

فعل، اسم الفاعل، صيغة مبالغة، اسم المفعول، اسم آلة، مصدر.

فهل هناك لغة في العالم كله يمكن من خلالها إنشاء جملة كاملة صحيحة المعنى من كلمة واحدة بصيغها المختلفة؟ على حدود علمي المتواضع أنه لا توجد لغة يمكنها ذلك، بل لابد أن يتخلل ويدخل في الجملة كلمة أخرى أو حرف مستقل لكي تستقيم الجملة. فانظروا إلى عجائب هذه اللغة!

فلنأخذ المثال نفسه ونرى في اللغة السويدية مدى إمكانية أو استحالة ذلك في اللغة السويدية وسوف نحاول أن نستغني عن الكلمات التي ليست من الأصول قدر الإمكان:

ضرب الضارب الضَّراب المضروب بالمضرب ضربتين.

Slagaren slog den slagna två slag med pinnen.

لاحظ أنني اختصر قدر الإمكان فلم أذكر صيغة المبالغة ولو حاولت ذكرها ( هذا إن وجدت في اللغة السويدية ) لاضطرت لا محال من أن أزيد كلمات خارجة عن أصول كلمة "slag" التي هي "ضرب" لكي يستقيم الكلام. ومع وجود تعسف و تنطع في الجملة و اختصار شديد قدر الإمكان و مع ذلك لم نستطيع أن نقيم الجملة بكلمة واحدة بصيغ مختلفة بل دخلت فيها أربع كلمات لا علاقة لها بأصول كلمة slag.

و في ختام هذه المقدمة عن أهمية علم الصرف أنصح الإخوة الكرام أن يقرءوا تفسير ابن كثير للآية الثانية من سورة يوسف عليه السلام ( إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ).

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

لمن عنده استفسار عن الدروس يمكنكم المشاركة في المجموعة " تواصل المسلمون " مع تطبيق Telegram وارسال رسالة خاصة لرقم 070-4104180 لأضافتكم داخل المجموعة